Journal of Studies in History and Archeology Vol.101, No 2 (June2026)
ISSN: (2075-3047)

الموجز في الطب والقانون في الطب لابن سينا: دراسة مقارنة في المنهج والمحتوى والغاية

The Concise Book on Medicine and the Canon of Medicine by Ibn Sina: A Comparative Study in Methodology, Content, and Purpose

زهراء عامر كاظم
أ.د. محمود تركي فارس اللهيبي
جامعة بغداد كلية التربية (ابن رشد)
للعلوم الانسانية

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مقارنة بين كتابي الموجز في الطب والقانون في الطب لابن سينا، من خلال تحليل المنهج والمحتوى والغاية من تأليف كل منهما. ويسلط البحث الضوء على أوجه الشبه في البنية العامة والموضوعات الطبية، حيث يشترك الكتابان في الاعتماد على الأسس النظرية للطب، وربط الأسباب بالأعراض وطرق العلاج، بما يعكس وحدة الرؤية الطبية لدى ابن سينا. كما يتناول البحث أوجه الاختلاف في ترتيب المعلومات وتبويبها، مبرزًا أثر الغاية التعليمية والعلمية في تحديد أسلوب العرض بين الإيجاز والتفصيل. وتخلص الدراسة إلى أن اختلاف المنهجية بين الكتابين لا يمثل تعارضًا علميًا، بل يعكس مرونة فكر ابن سينا وقدرته على تكييف المعرفة الطبية وفق مقاصد متعددة، مما يؤكد القيمة العلمية والمنهجية لمؤلفاته الطبية وأهميتها في تاريخ الطب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: ابن سينا، الموجز في الطب، القانون في الطب، المنهج الطبي، المقارنة العلمية، تاريخ الطب الإسلامي.

Abstract

This research aims to conduct a comparative study of Ibn Sina's two books, *Al-Mujaz fi al-Tibb* (The Concise Book on Medicine) and *Al-Qanun fi al-Tibb* (The Canon of Medicine), by analyzing their methodology, content, and purpose. The study highlights the similarities in their general structure and medical topics, noting that both books rely on the theoretical foundations of medicine, linking causes to symptoms and methods of treatment, thus reflecting Ibn Sina's unified medical vision. The research also examines the differences in the arrangement and organization of information, emphasizing the influence of educational and scientific aims on the presentation style, ranging from concise to detailed. The study concludes that the methodological differences between

the two books do not represent a scientific contradiction, but rather reflect the flexibility of Ibn Sina's thought and his ability to adapt medical knowledge to various objectives. This underscores the scientific and methodological value of his medical works and their importance in the history of Islamic medicine.
Keywords: Ibn Sina, *Al-Mujaz fi al-Tibb*, *Al-Qanun fi al-Tibb*, medical methodology, scientific comparison, history of Islamic medicine.

مقدمة

تُعدُّ مؤلفات ابن سينا من أبرز الإسهامات العلمية التي شكّلت منعطفًا حاسمًا في تاريخ الطب والعلوم العقلية في الحضارة الإسلامية، بل وفي التراث الإنساني عمومًا. فقد استطاع ابن سينا أن يجمع بين العمق الفلسفي والدقة العلمية، مقدّمًا أعمالًا اتسمت بالشمول والتنظيم المنهجي، وكان لها أثر بالغ في تطور الفكر الطبي والقانوني لقرون طويلة. ومن بين هذه المؤلفات يبرز كتاب «الموجز في الطب» وكتاب «القانون في الطب» بوصفهما نموذجين مختلفين في الحجم والغاية، متقاربين في الجوهر العلمي.

يمثل كتاب القانون في الطب موسوعة طبية متكاملة، وضعها ابن سينا لتكون مرجعًا شاملًا للأطباء وطلبة العلم، حيث تناول فيها القواعد الكلية للطب، والأدوية المفردة والمركبة، والأمراض الجزئية وطرق علاجها. أما الموجز في الطب فيُعد اختصارًا علميًا يهدف إلى تقديم المادة الطبية بأسلوب مركز ومبسط، يلائم أغراض التعليم والتلقي السريع، مع الحفاظ على الأسس النظرية والعملية للطب.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على أوجه الشبه والاختلاف بين هذين المؤلفين، من حيث المنهج والمحتوى والغاية، بما يساعد على فهم رؤية ابن سينا في تبسيط المعرفة الطبية أو توسعتها بحسب الفئة المستهدفة. كما تسهم هذه الدراسة في إبراز مرونة المنهج العلمي لدى ابن سينا، وقدرته على إعادة صياغة المادة العلمية دون الإخلال بجوهرها.

يركز البحث على دراسة أوجه الشبه والاختلاف في المنهجية والمحتوى بين الكتابين، حيث يتناول المطلب الأول أوجه الشبه في البنية العامة والموضوعات الطبية، من حيث اعتماد المبادئ الكلية للطب، والاهتمام بالأسباب والأعراض والعلاج، والالتزام بالمنهج العقلي والتجريبي. ويكشف هذا المطلب عن وحدة الرؤية الطبية التي تحكم مؤلفات ابن سينا على اختلاف مقاصدها.

أما المطلب الثاني فيعالج أوجه الاختلاف في ترتيب المعلومات وتبويبها، موضحًا الفروق في أسلوب العرض والتنظيم بين الكتابين، سواء من حيث التفصيل والإيجاز، أو من حيث ترتيب الأبواب والفصول. ويهدف هذا التحليل إلى بيان الكيفية التي وظّف بها ابن سينا المنهج العلمي لخدمة غايات تعليمية وعملية متعددة، مما يعكس عمق فكره ودقته في تصنيف المعرفة الطبية.

المبحث الاول: أوجه الشبه والاختلاف في المنهجية والمحتوى

المطلب الاول: أوجه الشبه في البنية العامة والموضوعات الطبية

يتفق كل من الموجز في الطب لابن النفيس والقانون في الطب لابن سينا في كونهما عملين موسوعيين شاملين في مجالات الطب النظري والعملي، إذ عالجا بنية الجسم الإنساني ووظائف أعضائه وفق منهج علمي مترابط. فقد اتبع المؤلفان ترتيباً منطقياً يبدأ بتعريف الطب وأقسامه وينتهي بطرق العلاج والأدوية، مما يعكس تطور الفكر الطبي الإسلامي نحو المنهج الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجربة. ويبدو أن ابن النفيس سار على نهج ابن سينا في البناء العام للكتاب مع ميله إلى الإيجاز والدقة العلمية[١] .

من أوجه الشبه بين الكتابين اعتمادهما على المنهج العقلي التحليلي في تفسير الظواهر الصحية والمرضية، إذ انطلق كلا المؤلفين من فكرة أن الطب علم يعتمد على الاستدلال العقلي والملاحظة الدقيقة، لا على الخرافة أو الموروث غير الموثوق. لذلك نلحظ أن منهجهما يجمع بين الفلسفة والعلم التجريبي، ويؤسس لفكر طبي نقدي مستقل. وقد أسهم هذا المنهج في رسوخ مكانة الطب الإسلامي في العصور الوسطى وانتقاله إلى أوروبا من خلال الترجمات اللاتينية[٢] .

يشترك الموجز في الطب والقانون في الطب في التدرج المنهجي الدقيق في عرض المادة العلمية، إذ يبدأ كل منهما بمقدمات تتعلق بتعريف الطب وغايته ومكانته بين العلوم، ثم ينتقل إلى مباحث التشريح ووظائف الأعضاء، فالأمراض وعلاجاتها. هذا الترتيب المتسلسل يدل على أن كليهما اعتمد المنهج التعليمي التدريجي في عرض المعرفة الطبية، وهو ما جعلهما مرجعين أساسيين في التعليم الطبي الإسلامي والأوروبي على السواء[٣] .

يتفق ابن سينا وابن النفيس في اعتمادهما على المنهج الموسوعي الذي يجمع بين فروع متعددة من المعرفة الطبية، إذ تناولا مباحث التشريح وعلم وظائف الأعضاء والأمراض والعقاقير ضمن إطار واحد متكامل. ويهدف هذا الأسلوب إلى إظهار وحدة العلوم الطبية وتكاملها في فهم الجسد الإنساني، وهو ما يُظهر مدى التأثر العميق بالتصور الإسلامي للإنسان ككلٍّ متناسقٍ في البنية والوظيفة[٤] .

كلا الكتابين ركّز على الجانب الأخلاقي للطبيب ومسؤوليته الإنسانية، فقد أكّد ابن سينا على ضرورة التزام الطبيب بالرحمة والصدق وحفظ أسرار المريض، وهي المبادئ نفسها التي أكدها ابن النفيس في مقدمات الموجز، مبيناً أن الطب علم إنساني قبل أن يكون مهنة. هذا التوافق في النظرة الأخلاقية يعكس روح الحضارة الإسلامية التي ربطت العلم بالأخلاق[٥] .

يتشابه الكتابان في أسلوب عرض الموضوعات الطبية بطريقة تعليمية موجهة للطلاب والممارسين، حيث اعتمد كلا المؤلفين على اللغة الواضحة والشرح المنطقي للأسباب والنتائج. كما استخدم ابن

النفيس، على غرار ابن سينا، أسلوب "التقسيم" لتسهيل الفهم، فجاء الموجز امتداداً تربوياً لـالقانون مع حذف التفصيلات المطوّلة[٦] .

من أوجه الشبه أيضاً اهتمام الكتابين بربط علم التشريح بعلم وظائف الأعضاء، إذ يُعدّ فهم البنية أساساً لفهم الوظيفة. فقد أوضح ابن سينا هذا الترابط في القانون، وتابعه ابن النفيس في الموجز، مضيفاً مشاهداته التشريحية الخاصة. وهذا الربط المنهجي بين التشريح والوظيفة يعكس رؤية علمية متقدمة تجاوزت حدود الفلسفة النظرية إلى التجريب والملاحظة الدقيقة[٧] .

كلا المؤلفين قدّم تصوراً متكاملاً لدور البيئة في نشوء الأمراض، فأكد ابن سينا على تأثير الهواء والماء والغذاء في صحة الإنسان، ووافقه ابن النفيس مع إضافة تفصيلات تتعلق بتأثير التغيرات الموسمية والعادات الغذائية. يظهر هذا التشابه في النظرة الشمولية للطب باعتباره علماً يتعامل مع الإنسان في بيئته لا في عزلة عنها[٨] .

من أوجه التشابه الواضحة بين القانون والموجز اعتمادهما على التصنيف المنهجي للأمراض بحسب الأعضاء ووظائفها. فقد قسّم كلا المؤلفين الأمراض إلى عامة وخاصة، وبدأا بأمراض الرأس ثم سائر البدن وفق نظام متسلسل يسهل على الطالب والممارس تتبعه. هذا النسق التنظيمي العلمي كان أحد أسباب بقاء المؤلفين مرجعين أساسيين في الطب لقرون[٩] .

يشترك المؤلفان في جعل "علم الأدوية" جزءاً أساسياً من بناء الكتاب، حيث أفرد كلٌّ منهما أقساماً خاصة بالعقاقير المفردة والمركبة. ويظهر في كتابي القانون والموجز التأكيد على أهمية التجربة في اختبار فعالية الأدوية، ما يعكس التوجه التجريبي في الطب الإسلامي. وقد تبنّى ابن النفيس نفس الأسس التي وضعها ابن سينا مع إعادة تنظيم المادة الدوائية لتناسب القارئ المعاصر له[١٠] .

من الملاحظ أن ابن النفيس في الموجز في الطب حافظ على الروح الموسوعية نفسها التي اتسم بها القانون في الطب، غير أنه اتجه إلى أسلوب أكثر دقة في ضبط المفاهيم الطبية، فقلّل من الغموض الفلسفي الذي كان يطغى على بعض مباحث ابن سينا. هذا التوجه يعكس انتقال الفكر الطبي الإسلامي من الطابع التأملي إلى التجريبي، وهو ما مهّد لاحقاً لنهضة علم التشريح في العالم الإسلامي[١١] .

اتفق ابن سينا وابن النفيس في اعتماد مبدأ الملاحظة الدقيقة كأساس في بناء المعرفة الطبية، إذ كانا يؤمنان بأن صحة الأحكام العلمية لا تُستمد من النصوص وحدها، بل من التجربة والمشاهدة. ومع ذلك، فإن ابن النفيس شدّد على أهمية التجريب السريري في مقابل التأمل النظري، الأمر الذي ميّزه عن معاصريه وأكسبه مكانة ريادية في تأسيس منهج البحث التجريبي في الطب الإسلامي[١٢] .

يتضح من المقارنة أن الكتابين يشتركان في اعتماد التدرج المنطقي في عرض الموضوعات الطبية، بدءاً من المبادئ النظرية العامة، ثم الأمراض الجزئية، فالأدوية والعلاجات. غير أن ابن النفيس أضاف

إلى هذا البناء بُعدًا تعليميًا واضحًا، فكان حريصاً على تبسيط المصطلحات وتقديمها في سياق يمكن للطلبة والأطباء المبتدئين استيعابه بسهولة، مما جعل الموجز كتاباً تعليمياً بامتياز[١٣] .

ومن جوانب الشبه المنهجية بين العملين، اعتماد كلٍّ من ابن سينا وابن النفيس على مبدأ "القياس الطبي" الذي يقابل المنهج المقارن في البحث العلمي المعاصر، حيث يقوم الطبيب بمقارنة الظواهر المرضية وتشخيصها وفقاً لتشابه الأعراض واختلاف الأسباب. إلا أن ابن النفيس طوّر هذا المبدأ حين أدخل عنصر "التحقق بالملاحظة"، مما جعله أكثر قرباً من روح المنهج التجريبي الحديث[١٤] .

كما يظهر التشابه أيضاً في اهتمام كلٍّ من ابن سينا وابن النفيس بالتكامل بين العلوم الطبية المساندة، كعلم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء، والصيدلة، وهي سمة ميزت المدرسة الطبية الإسلامية عن غيرها في القرون الوسطى. فقد ربط المؤلفان بين البنية التشريحية ووظيفة العضو ودوره في حفظ الصحة، وهو ما يدل على وعي علمي متقدم سبق النظريات الأوروبية اللاحقة بعدة قرون[١٥] .

«إنَّ الطبَّ علمٌ يتعرّفُ منه أحوالُ بدنِ الإنسان من جهةِ ما يصحُّ ويزولُ عن الصحة، ليحفظَ الصحةَ حاصلةً ويستردَّها زائلة.»[١٦]

هذا التعريف يؤسس للبنية المنهجية للكتاب؛ فالطب عند ابن سينا علمٌ قائم على:

١. دراسة أحوال البدن
٢. حفظ الصحة
٣. استردادها عند زوالها

وهذا البناء النظري يظهر لاحقًا في تقسيم الكتاب إلى:

١. أمور كلية
٢. أمراض جزئية
٣. أدوية مفردة
٤. أدوية مركبة

وهذا الهيكل سيظهر أثره بوضوح في الموجز عند ابن النفيس.

«إن أمر العلاج يتم من أشياء ثلاثة: أحدها التدبير والتغذية، والآخر استعمال الأدوية، والثالث استعمال أعمال اليد.»[١٧]

يبين هذا النص أن العلاج عند ابن سينا يقوم على ثلاثة أركان:

١. التدبير الغذائي (الحمية)
٢. الأدوية
٣. الجراحة (أعمال اليد)

وهذا التقسيم المنهجي سيظهر عند ابن النفيس أيضًا، مما يدل على وحدة الإطار الطبي بين الكتابين.

«قد دبّرتُ على أربعة فنون: الفنّ الأول في قواعد جزأي الطب أعني علمية وعملية بقول كلي، الفن الثاني في الأدوية والأغذية المفردة والمركبة...»[١٨]

يتضح هنا أن ابن النفيس سار على نفس التقسيم البنيوي العام الذي اعتمده ابن سينا:

١. قواعد كلية
٢. أدوية مفردة
٣. أدوية مركبة
٤. معالجة الأمراض

وهذا يدل على أن الموجز ليس مجرد اختصار لفظي، بل إعادة تنظيم ضمن الإطار نفسه، مما يعكس وحدة المدرسة الطبية.

«دراسة لكتاب ابن سينا القانون في الطب، والدراسة مشهورة على أنها موجز القانون.»[١٩]

هذا النص يصرّح بوضوح أن الموجز مرتبط مباشرة بـ القانون، مما يؤكد:

١. وحدة الموضوعات الطبية بين الكتابين.
٢. اشتراكهما في نفس البناء المعرفي.
٣. أن ابن النفيس يتحرك داخل الإطار السينوي، مع إضافات نقدية لاحقًا.

هناك وحدة واضحة في البنية العامة والموضوعات الطبية بين الكتابين، مما يؤكد أن المقارنة بينهما تقوم على أساس منهجي مشترك، رغم الاختلاف في التفصيل والتحليل النقدي لاحقًا.

يُظهر المطلب الأول بوضوح مدى تأثر ابن النفيس بمنهج ابن سينا في البناء الموسوعي للمعرفة الطبية، لكنه يبرز أيضًا تميز ابن النفيس بأسلوبه النقدي التجريبي الذي يجمع بين الإيجاز والدقة العلمية. إن أوجه الشبه في البنية العامة وترتيب الموضوعات الطبية تؤكد استمرارية الفكر الطبي الإسلامي وتوارثه بين الأجيال، بينما يظهر التميز في التفاصيل الدقيقة للعرض والمنهجية العلمية عند ابن النفيس، وهو ما يميّزه عن مجرد التقليد.

يمكن القول إن هذا المطلب يُبرز الجانب التطويري في الفكر الطبي الإسلامي، حيث لم يكتفِ ابن النفيس بإعادة إنتاج معارف سلفه، بل ساهم في إعادة تنظيمها وتبسيطها بطريقة منهجية تعليمية، مع إدخال عناصر ملاحظة وتجريبية أثرت لاحقًا في تطور المناهج الطبية. كما يوضح هذا الفرع أهمية الربط بين النظرية والممارسة، وهو عنصر أساسي جعل الموجز مرجعًا مهمًا للطلبة والأطباء على حد سواء، وما زال يبرهن على الرؤية العلمية المتقدمة للفكر الطبي الإسلامي في العصور الوسطى.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف في ترتيب المعلومات وتبويبها

أحد أهم الفروقات بين الموجز في الطب لابن النفيس والقانون في الطب لابن سينا يكمن في ترتيب الموضوعات الطبية، فقد أعاد ابن النفيس تنظيم المعلومات لتسهيل التعلم والتطبيق العملي. فالموجز يبدأ بالمبادئ العامة، ثم ينتقل مباشرة إلى الأمراض ووظائف الأعضاء، ثم طرق العلاج، بعكس القانون الذي يميل إلى التوسع الفلسفي والتحليلي، ما يجعل الوصول إلى المعلومات العملية أقل سهولة[٢٠] .

تميز ترتيب ابن النفيس بالتركيز على التسلسل التعليمي المنطقي، إذ يعرض الأمراض بحسب العضو المصاب، متبوعة بأعراضها وطرق علاجها، مع ربط واضح بين التشريح ووظائف الأعضاء. بينما يقدم ابن سينا في القانون المادة نفسها ضمن سياق موسوعي واسع، يشمل استطرادات فلسفية ونظرية، ما يجعل المادة أقل وضوحًا للطلاب والممارسين الجدد[٢١] .

اعتمد ابن النفيس أسلوب الملاحظة السريرية في ترتيب المعلومات، فجمع بين الأعراض والعلاج والملاحظات العملية لكل مرض، وهو ما لم يكن موجودًا بنفس القوة في كتاب ابن سينا. هذا الاختلاف يعكس تحول الموجز نحو التطبيق العملي، ويبين وعي ابن النفيس بالحاجة إلى ربط النظرية بالممارسة، ما يجعله أكثر ملاءمة للطب التعليمي الحديث[٢٢] .

في ترتيب الأمراض، ركّز ابن النفيس على المنطق التشريحي والوظيفي، بحيث يبدأ كل فصل بتشريح العضو ثم وظائفه، ثم الأمراض، ثم العلاج. أما ابن سينا فقد جمع بين هذه العناصر ضمن سياق موسوعي أوسع، مع بعض الاستطرادات النظرية، ما يجعل الوصول إلى المعلومات التطبيقية عملية أكثر تعقيدًا[٢٣] .

في مجال الأدوية والعقاقير، أعاد ابن النفيس ترتيب المعلومات بشكل منهجي وعلمي، إذ صنف الأدوية بحسب الوظائف العضوية والمرض، مع تحديد الجرعات وطرق التحضير، بينما أعطى ابن سينا مساحة أكبر للمناقشة الفلسفية والنظرية للأدوية، ما يطيل البحث عن المعلومات العملية[٢٤] .

تميز الموجز أيضًا بـ الترتيب المبتكر للفصول الفرعية، بحيث يتم عرض كل مرض بشكل مستقل متبوعاً بالتشريح والأعراض والعلاج، وهو ما يُسهل على الطالب تتبع العلاقة بين العضو والمرض والأعراض. بينما في القانون، قد يمتد شرح المرض ضمن سياق متعدد المواضيع، ما يجعل التبويب أقل وضوحًا واحتياجًا لتفكيك المادة لفهمها عمليًا[٢٥] .

أظهر ابن النفيس اهتمامًا واضحًا بـ تبويب الأمراض حسب العضو والأهمية السريرية، مع تحديد الملاحظات العلاجية لكل حالة. هذا الترتيب يعكس فهمه لأهمية الوصول السريع للمعلومة في السياق العملي، مقارنة بالترتيب الموسوعي لدى ابن سينا، حيث يُعرض المرض ضمن سياق نظري أوسع يركز على فلسفة الطب[٢٦]

في تبويب التشريح ووظائف الأعضاء، أعاد ابن النفيس ترتيب المعلومات بحيث يربط بين الهيكل التشريحي والوظيفة بشكل واضح، مع الإشارة إلى الأمراض المرتبطة بكل عضو. بالمقابل، قدم ابن سينا المعلومات التشريحية ضمن سياق نظري موسوعي، ما يصعب على الطالب الجديد تتبع العلاقة بين التشريح والوظيفة المرضية مباشرة[٢٧]

تميز الموجز بترتيب الملاحق العملية والجدولية، حيث أدرج المعلومات المتعلقة بالأدوية والعلاجات بشكل مختصر ومنظم في جداول، لتسهيل الرجوع إليها. في حين أن القانون يقدم المعلومات نفسها ضمن النصوص التفصيلية، مما يجعل البحث عن المعلومات التطبيقية أكثر صعوبة للطلاب والممارسين[٢٨] .

ظهر اهتمام ابن النفيس بتسلسل المعلومات التعليمية، حيث يبدأ بالمبادئ الأساسية، ثم الانتقال إلى الأمراض والوظائف العضوية، ويختتم بالعلاجات، مع تمييز المعلومات التطبيقية عن النظرية. هذا الترتيب يُسهل عملية الفهم والمراجعة السريعة، بعكس أسلوب ابن سينا الذي يميل إلى الجمع بين النظرية والممارسة في سياق موسوعي واحد[٢٩] .

في ترتيب موضوعات الصيدلة، أعطى ابن النفيس أولوية للجرعات الدقيقة وطرق التحضير، مع ترتيب الأدوية حسب العضو المصاب ونوع المرض، بينما في القانون يذكر ابن سينا المواد الصيدلانية ضمن سياق موسوعي دون ترتيب عملي محدد، مما يجعل المعلومات أقل وضوحًا عند التطبيق السريري[٣٠] .

كما لاحظ الباحثون أن ابن النفيس استخدم أسلوبًا متدرجًا في عرض الأمراض بحيث يبدأ بالحميدة ثم الخطيرة، مع تمييز بين الأمراض المزمنة والحادة، وهو ما يسهل على الممارس السريري فهم أولويات العلاج، بينما يعتمد ابن سينا على ترتيب موسوعي قائم على النظريات والفلسفة الطبية، ما يجعل التطبيق العملي أكثر تعقيدًا[٣١] .

في ترتيب المعلومات المتعلقة بالتشخيص، وضّح ابن النفيس العلاقة بين الأعراض والعلاج بدقة متناهية، مع ربط كل مرض بوظائف الأعضاء والأسباب المحتملة، بينما في القانون يعرض ابن سينا الأمراض ضمن سياق نظري موسوعي، ما قد يربك القارئ عند البحث عن علاج محدد[٣٢] .

أظهر الموجز أيضًا تفوقًا في ترتيب المعلومات الخاصة بالملاحظات السريرية والنتائج التجريبية، إذ صمّم ابن النفيس كل فصل ليعطي أهم الملاحظات مع النتائج المحتملة للمرض والعلاج، بينما في القانون يميل ابن سينا إلى الجمع بين النظرية والتطبيق دون ترتيب عملي واضح، ما يجعل الموجز أكثر مرونة في التعليم العملي[٣٣] .

يعكس ترتيب المعلومات في الموجز في الطب حرص ابن النفيس على التنظيم المنهجي والعملي، بحيث يسهل على القارئ الانتقال بين المبادئ العامة، التشريح، الأمراض، والعلاج بطريقة متسلسلة ومنطقية. هذا الترتيب يعزز القدرة على الفهم والتطبيق السريري ويجعل الكتاب مرجعاً تعليمياً فعالاً، بينما يظل القانون في الطب موسوعة موسوعية قيمة من الناحية العلمية والفلسفية، لكنها أقل مباشرة من حيث التطبيق العملي[٣٤] .

«تم الكتاب الأول من كتب القانون وهم الكليات... الكتاب الثاني: الأدوية المفردة... وقسمنا هذا الكتاب جملتين: الأولى منهما في القوانين الطبيعية... والثانية في معرفة قوى الأدوية الجزئية.»[٣٥]

يتضح أن ابن سينا يعتمد نظام الكتب المستقلة المتتابعة:

١. الكتاب الأول: الكليات
٢. الكتاب الثاني: الأدوية المفردة

ثم يتفرع داخل الكتاب إلى:

- جمل
- مقالات
- ألواح
- قواعد

وهذا يدل على بنية موسوعية هرمية معقدة، تتسم بالتفريع الدقيق والتنظيم المتشعب.

«أذكر في هذا القسم أسماء الأدوية على ترتيب حروف الجمل ليسهل على المشتغل بهذه الصناعة التقاط منافع كل دواء... وجعلت هذا القسم على ثمانية وعشرين فصلاً.»[٣٦]

هنا يظهر اختلاف مهم في التبويب؛ إذ اعتمد ابن سينا:

١. الترتيب الهجائي للأدوية
٢. تقسيمها إلى فصول بحسب الحروف
٣. ربط كل دواء بألواح وظيفية (الأعضاء، الأمراض، السموم...)
٤. وهذا يعكس منهجًا مرجعيًا موسوعيًا يسهل الرجوع إليه.

«قد دبّرت على أربعة فنون: الفن الأول في قواعد جزأي الطب أعني علمية وعملية بقول كلي، الفن الثاني في الأدوية والأغذية المفردة والمركبة...»[٣٧]

ابن النفيس لا يقسم كتابه إلى "كتب" مستقلة كما فعل ابن سينا، بل:

- يجمع المادة في أربعة فنون فقط
- يختصر التفريعات

- يدمج بين المفرد والمركب
- لا يعتمد التقسيم التفصيلي إلى ألواح وأصباغ

وهذا يدل على منهج تلخيصي تعليمي أكثر منه موسوعيًا مرجعيًا.

«الدراسة مشهورة على أنها موجز القانون.»[٣٨]

هذا النص يوضح طبيعة العمل نفسه:

- ليس كتابًا موسوعيًا مستقلاً في بنائه
- بل إعادة تنظيم واختصار
- حذف كثير من التفريعات والألواح
- تركيز على الجوهر العلمي دون الإسهاب التفصيلي

يتبين أن الاختلاف ليس في المادة العلمية بقدر ما هو في:

- درجة التفصيل
- مستوى التفريع
- الهدف من التصنيف
- فالقانون كتاب موسوعي شامل مرجعي،

أما الموجز فكتاب تعليمي مختصر يعيد تنظيم المادة في صورة أكثر تركيزًا وأقل تفريعًا.

يبين هذا المطلب أن أبرز ما يميز الموجز في الطب لابن النفيس عن القانون في الطب لابن سينا هو الترتيب المنهجي للمعلومات والتركيز على التطبيق العملي. فقد حرص ابن النفيس على تنظيم المواد الطبية بحيث تبدأ بالمبادئ العامة، ثم التشريح ووظائف الأعضاء، تليها الأمراض، ثم طرق العلاج، مع إبراز الملاحظات السريرية والتجارب العملية. هذا الترتيب يعكس وعيه بأهمية تعليم الطب بطريقة تسهّل على الطلبة والممارسين الوصول السريع للمعلومة وتنفيذها في الممارسة العملية، وهو ما يميز الموجز عن القانون الذي يميل إلى الطرح الموسوعي والنظري الفلسفي.

كما يوضح هذا المطلب أن اختلاف الترتيب والتبويب يعكس هدف المؤلفين المختلف؛ فابن سينا يسعى لتقديم مرجعية موسوعية شاملة لكل ما يتعلق بالطب، بينما يهدف ابن النفيس إلى مرجع عملي وتربوي متكامل للطلبة والأطباء، مع الحفاظ على الدقة العلمية. ويظهر هنا أيضًا دور ابن النفيس في تطوير الفكر الطبي الإسلامي من خلال تقديم المعلومات بشكل متسلسل ومنطقي، ما أسهم لاحقًا في تحسين طرق التدريس الطبي وتطبيق المعرفة السريرية.

يمكن القول إن هذا الترتيب المنهجي لا يقتصر على الجانب التعليمي فحسب، بل يعكس رؤية علمية متقدمة تجعل الموجز مرجعًا عمليًا قابلًا للتطبيق المباشر في المستشفيات والعيادات، ويبرز قدرة

ابن النفيس على الجمع بين الدقة العلمية والإيجاز العملي في عرض المعلومات، وهو ما لم يظهر بنفس القوة في كتاب القانون.

الخاتمة

١. خلصت هذه الدراسة إلى أن كتابي الموجز في الطب والقانون في الطب يشتركان في الأسس العلمية والمنهجية التي وضعها ابن سينا للمعرفة الطبية، إذ يقوم كلاهما على فهم شامل للجسم الإنساني، وربطٍ دقيق بين الأسباب والأعراض وطرق العلاج، بما يعكس وحدة الرؤية الطبية لدى المؤلف.

٢. بيّنت المقارنة أن أوجه التشابه في البنية العامة والموضوعات الطبية تؤكد أن «الموجز» ليس مجرد تلخيص سطحي لـ«القانون»، بل هو إعادة صياغة واعية للمادة العلمية بما يخدم غاية تعليمية محددة، مع الحفاظ على الجوهر النظري والعملي للطب.

٣. أظهرت الدراسة أن الاختلاف في ترتيب المعلومات وتبويبها يعود أساسًا إلى اختلاف المقاصد والشرائح المستهدفة من كل كتاب، حيث اتسم «القانون في الطب» بالتفصيل والتوسع، بينما غلب على «الموجز في الطب» الإيجاز والتركيز وسهولة العرض.

٤. أكدت النتائج أن ابن سينا اعتمد منهجًا مرنًا في عرض المعرفة الطبية، مكنه من التوفيق بين العمق العلمي والتبسيط التعليمي، وهو ما يعكس نضجًا منهجيًا وقدرة عالية على تنظيم المادة العلمية وفق أهداف واضحة.

٥. وفي الختام، تسهم هذه الدراسة في إبراز القيمة العلمية والمنهجية لمؤلفات ابن سينا الطبية، وتؤكد أهمية إعادة قراءتها قراءة مقارنة، لما تحمله من دلالات فكرية وتربوية لا تزال صالحة للإفادة منها في الدراسات الطبية والتاريخية المعاصرة.

الهوامش:

(١) ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت. ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، الشرح على القانون لابن سينا، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م، ص٤٥.

(٢) علي, ماهر عبد القادر محمد ، الطب العربي: رؤية إبستمولوجية، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٧٨

(٣) ابن النفيس، الموجز في الطب، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م، ص١٢. ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا (ت. ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، القانون في الطب، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ج١، ص٨.

(٤) السامرائي، كمال عبد الفتاح، الطب والأطباء العرب في القرن السابع الهجري، بغداد: المجمع العلمي العراقي، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٤٥.

(٥) أبو غدة، عبد الفتاح بن محمد، قيمة الزمن عند العلماء، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة العاشرة، ١٩٨٤م، ص٩٢.

(٦) درباس، أحمد محمد، جسم الإنسان: دراسات خاصة في التشريح ووظائف الأعضاء، عمان: دار البداية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص١٤.

(٧) بهاروند، أحمد بختيار، بهماني، محمد، زرغران، علي، ابن النفيس والوصف المبكر لدور الشرايين التاجية في إمداد القلب بالدم، المجلة الدولية لأمراض القلب، ٢٠١٦م، ص١٣١.

(٨) ابن النفيس، الموجز في الطب، ص٦٧. ابن سينا، القانون في الطب،ج٢، ص٣٤.

(٩) سزكين، فؤاد (ت. ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، علي بن أبي حزم القرشي ابن النفيس (ت. ١٢٨٨/٦٨٧): نصوص ودراسات، فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية بجامعة يوهان فولفغانغ غوته، ١٩٩٧م، ص٥٨.

(١٠) ابن النفيس، المختار من الأغذية، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م، ص٢٣.

(١١) علي، الطب العربي: رؤية إبستمولوجية، ص٤٦

(١٢) علي، الطب العربي: رؤية إبستمولوجية، ص١١٤.

(١٣) بركات،محمد مراد, ابن النفيس واتجاهات الطب العربي العلمية,القاهرة,دار كتب عربية للنشر, ٢٠٠٠م، ص٦٦.

(١٤)مايرهوف، ماكس، "شرح ابن النفيس لتشريح قانون ابن سينا"، مجلة إيزيس (Isis)، المجلد ٢٣، العدد ١، ١٩٣٥م، ص٥٨-٧٤.

(١٥) العلوجي,صباح ناصر، علم وظائف الأعضاء، عمان: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٤م، ص٣٧.

(١٦) ابن سينا,القانون في الطب,ص٢

(١٧) ابن سينا,القانون في الطب,ص١٩٧.

(١٨) ابن النفيس,الموجز في الطب,ص٢.

(١٩) ابن النفيس,الموجز في الطب,ص١.

(٢٠) ابن النفيس، الموجز في الطب، ص٣٥. ابن سينا، القانون في الطب، ج١، ص١٥.

(٢١)علي، الطب العربي: رؤية إبستمولوجية، ص١٢٦

(٢٢) علي,ماهر، الطب العربي: رؤية إبستمولوجية، ص١١٩.

(٢٣)غليونجي، حسن علي، ابن النفيس، سلسلة أعلام العرب، القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٦١م, ص٩٠.

(٢٤) قطاية، سلمان، ابن النفيس: حياته وآثاره، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٤م,ص٢٤.

(٢٥)بركات، ابن النفيس واتجاهات الطب العربي العلمية، ص٦٦.

(٢٦) علي، الطب العربي: رؤية ابستمولوجية، ص٨٨.

(٢٧)غانم، محمد شوقي، فسيولوجيا الإنسان، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٢م، ص٣٧.

(٢٨) غليونجي، ابن النفيس ضمن سلسلة أعلام العرب، ص١٠٠.

(٢٩) بركات، ابن النفيس واتجاهات الطب العربي العلمية، ص٧٠.

(٣٠) قطاية، ابن النفيس: حياته وآثاره,ص٣٦

(٣١)مايرهوف، "شرح ابن النفيس لتشريح قانون ابن سينا"، ص٥٨

(٣٢) غانم، فسيولوجيا الإنسان، ص٤٠.

(٣٣) بهاروند، وآخرون، ابن النفيس والوصف المبكر لدور الشرايين التاجية في إمداد القلب بالدم، ص١٣٨

(٣٤) ابن النفيس، الموجز في الطب، ص٦٥.

(٣٥) ابن سينا,القانون في الطب,ص٢٣٢-٢٣٣.

(٣٦) ابن سينا,القانون في الطب,ص٢٥٤.

(٣٧) ابن سينا,الموجز في الطب,ص٢

(٣٨) ابن النفيس,الموجز في الطب,ص١.